التجربة الناجحة للعدالة والتنمية

المؤسسة العربية
للدراسات الاستراتيجية
ARAP STRATEJIK
ARAŞTIRMA MERKEZI

AK PARTİ

التجربة الناجحة
للعدالة والتنمية

المقدمة: النشأة والتأسيس

جاء حزب العدالة والتنمية كنتيجة لصراع سياسي داخل الحركة السياسية للتيار الإسلامي التركي والذي أسسه البروفيسور الراحل نجم الدين أربكان.

فقد دخلت السياسة التركية عامة ومن ضمنها حركة الملي جوروش (وهي الحركة الإسلامية السياسية) مأزق بعد سيطرة العسكر على الحكم في تركيا نتيجة الانقلاب الذي حدث في شباط من عام 1997 حيث أصبح الحكم الحقيقي للعسكر ولكن الواجهة فيها أحزاب سياسية يمينية ويسارية وعلمانية مختلفة.

ولم تنته الأزمة بذلك بل دخلت تركيا في أزمة اقتصادية غير مسبوقة حيث وصلت نسبة التضخم في نهاية العام 97 إلى 91% وفي نهاية العلم 2001 إلى 88.6% وحدث التعويم الأكبر للعملة التركية فخسرت أكثر من قيمتها في ليلة واحدة وفي نفس الفترة أعلنت أكثر من 14 بنك تركي الإفلاس فدخل السياسة التركية في أزمة البديل.

لقد كان حزب الرفاه والذي أغلق عام 1998 بتهمة الرجعية التهمة التي كانت تستخدم لإغلاق أي حزب سياسي ذو توجه إسلامي كان هو البديل الأكثر رغبة لدى المواطن التركي لكن الدولة العميقة لم تكن تقبل به بل ومباشرة بعد إعلان الحزب البديل بأقل من سنة بدأت التحقيقات في إغلاقه.

في نفس الوقت كانت مجموعة من القيادات الشابة في هذا التيار تختلف مع القيادة التاريخية له وهم نجم الدين أربكان ورفاقه في طريقة المواجهة وترى أن الصرامة في المواجهة لا تولد إلا كسر عظم التيار وترسيخ أقدام العسكر ومن يتعاون معهم من الأحزاب العلمانية واليسارية وغيرها بينما ترى القيادة التاريخية أن أي تهاون في الأمر يعني التراجع عن مبادئ الحركة وانفصال عن جذورها.

ونتج عن هذا الخلاف انشقاق كبير في جسم الحزب وأنشأ المنشقون ومعهم مجموعة من الليبراليين المحافظين وبعض اليساريين حزبا جديدا باسم حزب العدالة والتنمية والذي استقى اسمه من روح اللحظة وحاجة المجتمع فقد كانت العدالة والتنمية هما أكبر نقص يعيشهما المجتمع التركي حيث أصبحت المحاكم تأخذ قراراتها من العسكر وتنفذها دون خجل وأصبح الاقتصاد والتنمية التركية في أسوأ مراحلهما.

الانطلاقة الناجحة:

لقد تميز حزب العدالة والتنمية بأنه الحزب الثاني في تاريخ تركيا الذي يفوز بأغلبية ويشكل حكومة بحزب واحد وقوية في أول انتخابات يخوضها بعد تأسيسه مباشرة حيث أسس الحزب في أغسطس/ آب من العلم 2001 وفاز بأغلبية كبيرة من مقاعد البرلمان في شهر مارس/ آذار من العام التالي أي بعد سبعة أشهر فقط من تأسيسه ولهذا الفوز أسباب ودوافع مختلفة اجتمعت كلها لتخدم هذا المشروع ومنها:

أنه حزب أسس من قبل كادر معروف وناجح في العمل السياسي والخدمات البلدية وله قاعدة شعبية جاهزة في الشارع بناها بنجاحاته فمن بين المؤسسين رؤساء بلديات كبرى في تركيا وعلى رأسهم رئيس الحزب أردوغان عبد الله جول وزير الخارجية في حكومة نجم الدين أربكان وغيرهم.

أن الحزب استطاع استقطاب بعض القيادات نظيفة اليد والمعروفة بذلك من أحزاب الوسط وبعض الشخصيات الليبرالية واليسارية غير المتطرفة والتي لها صدى في الشارع فكان الحزب الذي يمثل الشريحة الواسعة من الجماهير.

أن الحزب ركز في كل المحافل على قضيتان وهما محور اسم الحزب العدالة والتنمية بل وكانت التنمية والاقتصاد تسبق العدالة في كثير من الخطابات لأن المواطن أصبح يبحث عن لقمة عيشه قبل أن يسأل عن الحرية والعدالة.

أن الحـزب لم يخـض في القضايـا الفكريـة التـي تمحـورت حولهـا المعركـة السياسـية في السـنوات الخمـس التـي سـبقت تأسيسـه وهـي الإسـلام السـياسي والعلمانيـة ولا موضـوع الحجـاب الرمـز الأهـم في معركـة السياسـة والعدالـة التـي خاضهـا أسـتاذ مؤسـسي الحـزب نجـم الديـن أربـكان. أن الحـزب ظهـر كمنافـس لحـزب السـعادة والـذي يمثـل الامتـداد الطبيعـي لحركـة الملـي جـوروش (الحركـة السياسـية ذات المرجعيـة الإسـلامية) مـما دفـع التيـارات العلمانيـة التـي كانـت تخـشى مـن عـودة أربـكان مـرة أخـرى للسـاحة بقـوة بعـد فشـل كل البدائـل التـي صنعهـا العسـكر والتيـارات المسـاندة لـه في عـالم الإعـلام والسياسـة والاقتصـاد لتأييـد هـذا الإسـلامي المعتـدل الـذي يمكـن التعـاون معـه وإدخالـه ضمـن حظـيرة السياسـة الدوليـة في مواجهـة مـن كانـوا يرونـه إسـلامي متطـرف يسـعى لتغيـير مـكان تركيـا مـن الغـرب إلى الـشرق.

الطـرح السـياسي والاقتصـادي اللـين للحـزب كان يتـماشى مـع الأعـراف السياسـية المقبولـة مـن الدولـة العميقـة في عـالم السياسـة والاقتصـاد مـن العمـل عـلى دخـول الاتحـاد الأوروبي والحفـاظ عـلى النظـام المـالي الموجـود وقبـول التعـاون مـع صنـدوق النقـد الـدولي الـذي كان الآمـر الناهـي في الاقتصـاد الـتركي بـل وهنـاك معلومـات عـن لقـاءات تمـت لقيـادات في الحـزب مـع ممثـلي المنظـمات واللوبيـات المؤثـرة عالميـا وطمأنتهـم حـول المسـتقبل الاقتصـادي والسـياسي الـتركي.

وبعد انطلاقه فقد عاش الحزب ثلاث مراحل في كل مرحلة كان له طبيعة تختلف عن التي سبقتها من الخطاب والأداء وذلك تبعا للتغير الحاصل في إمكانات الحزب وقدراته على التأثير في الشارع والسيطرة على مفاصل الحكم وكذلك على المتغيرات الحاصلة في متطلبات الشارع والأحداث الجارية حوله ويمكن تصنيف المراحل الثلاث كالتالي:

مرحلة صناعة الفرق والتعرف على الدولة:

حزب العدالة والتنمية استطاع أن يتجنب ضربات القوى المعارضة الرئيسية الخارجية لفكر الديمقراطية من ماسونية وصهيونية عالمية من خلال تجنب القضايا الخلافية الرئيسية مع هذه القوى ولكنه أيضاً حيد القوى الداخلية التي يمكن أن تضربه وتوقفه من التقدم مثل العسكر ومراكز القوى الدكتاتورية العلمانية من تعليم وقضاء وإعلام.

وقد انطلق الحزب الذي تشكل غالبية قواعده الشباب المنسحبين من حزب الفضيلة إسلامي التوجه ، ولكنه ضم في صفوفه الأولى العديد من الشخصيات العلمانية واليسارية المعتدلة وحتى العلويين الذين كان بينهم وبين الإسلاميين حاجز كبير قبلها ، وكذلك اعتمد في دعمه الشعبي على رفض الناس للأحزاب العلمانية الأتاتوركية وأحزاب الوسط التي اعتقدوا أنها سبب الفساد المالي والإداري المستشري في البلاد، وكذلك الأحزاب اليسارية التي أصبحت وبكل وضوح تبعاً للرأسمالية ومنظماتها الدولية مثل صندوق النقد الدولي وغيرها وما زاد فرصهم في النجاح هو الانهيار الاقتصادي الذي نتج عن تحرير العملة لتنخفض قيمتها 100% بين ليلة وضحاها عام2001 وكذلك اكتسحوا دعم الناخب المتدين الذي بدء يشعر أن سياسة التحدي التي اتبعها حزب الرفاه وخليفته حزب الفضيلة لن تنجح في كسر شوكة التسلط من العسكر

والقضاء ومؤسسة التعليم العالي، وهي رموز السيطرة للانقلابيين الذين سيطروا على مقاليد الحكم بانقلابهم الدامي في بداية الثمانينيات من القرن الماضي .

وهذا بدا واضحاً من برنامج الحزب في المرحلة الأولى لتقدمه للانتخابات عام 2003، فقد كان برنامجاً داخلياً بكل معنى الكلمة، واقتصادياً بشكل خاص، وطرح حلولاً ديمقراطية وأقرب للمواقف الإنسانية منها القضايا السياسية للمواقف التي تخص الناخب المتدين من موضوع الحجاب والطرد من الجيش للمتدينين، وغيرها من القضايا التي تعد محور الخلاف بين الإسلاميين والقوى المعادية لهم، وطرح فكرة الديمقراطية المحافظة حلاً لها.

فكان الدعم الهائل لهذه التجربة الجديدة التي رأى فيها الناخب العادي وغير الإسلامي تجربة جديدة يقودها مجموعة من الشباب الذين عرف عنهم التميز في مجالات الخدمات وشعر فيهم روحاً جديدة لم تعشها تركيا منذ الخمسينيات وكذلك شعر فيها المتدين بأن الطريقة الهادئة في التغيير ستكون أنجع وأكثر أثراً لرفع الظلم الواقع عليه بسبب مواقفه الدينية والفكرية.

وانقضت هذه المرحلة، وقد نجحت الخطط الاقتصادية والإدارية الداخلية بشكل كبير، واستطاع الحزب أن يثبّت أقدامه في عالم السياسة بعد أن منع منها لفترة طويلة نسبة كبيرة من أنصاره بسبب توجهاتهم السياسية، وقد وصل عدد لا بأس به من البيروقراطيين الموالين للحكومة لعدد من المناصب المؤثرة في الحكم والإدارة.

المرحلة الثانية: بداية المواجهة

مع نهايات المرحلة الأولى بدأت قوى الدولة العميقة تستشعر الخطر على مشروعها من المشروع الديمقراطي المحافظ (كما يحلو للحزب تسمية نفسه) الذي بدأ يكسب قلوب المواطنين ويخترق حصون الدولة العميقة لكن بطرق لا تسمح له برفضها مثل القانون الإنساني والضوابط الأوروبية مما اضطره لإصدار تهديد بانقلاب في حال استمر الأمر على ما هو عليه.

لذلك في المرحلة الثانية بدأ الحزب بالتحرك لكن بهدوء ضد معاقل الدولة العميقة

- على صعيد المؤسسات التعليمية استطاع الحزب إدخال عدد من الشخصيات الديمقراطية والمحافظة على المجلس الأعلى للتعليم صاحب التأثير الأكبر في الجامعات والمعاهد العليا والذي كان يعتبر من معاقل الجيش.
- وعلى صعيد الإعلام استطاع الحزب إنشاء وتمويل بعض الصحف والقنوات وكذلك تشجيع رجال الأعمال المقربين من الحكومة على شراء بعض القنوات والصحف المعروفة والمؤثرة في الشارع مع التنبيه على عدم تغيير محتواها الجاذب للجماهير ولكن تغيير خطابها السياسي ليستطيع أن يوصل الحزب رؤيته عبرها لنفس القاعدة الجماهيرية.
- وعلى صعيد الاقتصاد فبعد إضعاف إقطاعي الاقتصاد وفتح الطريق أمام الاقتصاديين المنتمين للتيار المحافظ أو غير المنتمين للدولة العميقة ولوبيها الاقتصادي نمى التيار الاقتصادي الداعم للحكومة والمنفذ لسياساتها الاقتصادية وكان المحرك الأساسي لهذا التيار التجمع الاقتصادي

الأكبر في تركيا جمعية رجال الأعمال الأتراك المستقلين (موصياد) وقد استطاع في هذه الفترة والتي كانت تعصف الأزمة الاقتصادية بالعالم أن يرفع معدل دخل الفرد في تركيا من ثلاثة آلاف دولار إلى أكثر من عشرة آلاف.

وعلى صعيد المواجهة مع الجيش والأمن فقد سمح الحزب بفتح ملفات فساد مالي وملفات محاولات انقلاب كانت تخطط لها قيادة الجيش رغم أنها لاحقا تم إضعافها بل وإفسادها من قبل جماعة جولن لتتحول لقضايا تصفيات لكل من يعارضون الجماعة داخل الجيش مما أشغل الجيش بالدفاع عن نفسه وهي المرة الأولى التي يقف فيها الجيش مدافعا عن سمعته أمام الشعب الذي كان يقدس هذا الجيش ويقبل أن يكون أعلى من المسائلة القانونية والسياسية. وفي نفس المرحلة وفي عام 2008 عين أردوغان أحد أقرب موظفي الدولة له ولقيادة الحزب حاقان فيدان رئيسا للمخابرات الأمر الذي أزعج الكثير من الأطراف حتى جماعة جولن التي كانت تعتبر حليفة له. أما على صعيد السياسة الخارجية فقد تطور أداء تركيا فيها عبر صانع سياستها الخارجية البروفيسور أحمد داوود أوغلو وبدأت تركيا تأخذ دور الدولة الأكثر قبولا لدى جميع أطراف الخلاف السياسي من سوريا لفلسطين ومن الكيان الصهيوني وغيرهم فأصبحت هي الوسيط في الكثير من اللقاءات السياسية وعلى صعيد الجيران فقد كانت سياسة تصفير المشاكل التي اتبعها الحزب منذ بدايات عمله مؤثرة في هذه الفترة فقد تراجعت حدة المواجهة بين تركيا وأرمينيا واليونان وسوريا بعد أن كانت توشك على الانفجار حد الوصول لمواجهة مسلحة بينهم. ولكن هذه السياسة خاصة فيما يخص الشأن الفلسطيني فقد تغيرت وانعكست تماما مع العدوان على غزة والموقف التركي المناصر بكل قوة للشعب والقضية الفلسطينية حتى وصلت الأمور لوصول العلاقة لأضعف مستوياتها السياسية.

وفي الفترتين الأولى والثانية نجح في فتح العديد من الملفات العالقة بين تركيا والاتحاد الأوروبي وقطع شوط جيد في طريق انضمام تركيا للاتحاد ولكن التغييرات التي كانت تتم لم يكن هدفها الوحيد هو الانضمام للاتحاد لكن أيضا استخدام شماعة الانضمام للاتحاد لفرض بعض التغييرات على الدولة العميقة وإحراجها مع الجماهير.

أما المرحلة الأخير فهي مرحلة قيادة الدولة بالكامل:

وهي المرحلة التي ترك فيها الحزب وقيادته الحذر الشديد الذي رافقهم طوال السنوات الثماني الأولى وبدأ بفرض سياساته على الدولة وتجفيف منابع الدولة العميقة فاستطاع عمل ما يلي:

أصبحت مؤسسات الدولة عبر بعض التعديلات الدستورية الصغيرة والكبيرة مسيطر عليها من الحكومة بعد إسقاط الحواجز والمعوقات التي كانت تسمح بمؤسسات أشبه بالحكم الذاتي داخل الدولة كالقضاء والتعليم والجيش فقد نجح الحزب في جعل كل مؤسسات الدولة تأتمر بأمر السياسيين المنتخبين وممثليهم .

لأول مرة أصبح مجلس الأمن القومي صانع السياسات الاستراتيجية في الدولة ذو أغلبية مدنية سياسية بعد أن كانت غالبيته العظمى من العسكر)شبع مدنيين وهمس عسكريين) .

نجح في فتح الأبواب داخل الدولة لأكبر عدد ممكن من الموظفين المحافظين والديمقراطيين والغير منتمين لتيارات الدولة العميقة خاصة في المناصب العليا من الوزرات الحساسة كالعدل والخارجية والاقتصاد.

ومن ميزات هذه التجربة السياسية الهامة في منطقتنا الإسلامية ما يلي:

- الأب الروحي والزعيم: فالمجتمع التركي ومنذ الدولة العثمانية يعيش أجواء السلطان والشعب أو الشيخ والمريدين فكانت كاريزما وحضور أردوغان ومهاراته القيادية المميزة من تشكيل وإدارة فرق العمل والحزم والمجازفة في اللحظات الهامة كلها لها دور هام في تشكيل القيادة الروحية والحزبية لهذه التجربة.
- الرؤية الواضحة والتخطيط الطويل: فأردوغان وفريقه يهتمون يوضع الأهداف القصيرة والطويلة المدى ففي كل دورة انتخابية أصبح الناخب معتاد لينتظر الوعود التي سينفذها العدالة والتنمية على الصعيد المحلي في المدن والأحياء أو الصعيد القومي في عموم تركيا ولكن في نفس الوقت كانت الغايات البعيدة دائما حاضرة في خطابات أردوغان وقيادة الحزب فمن مئوية الجمهورية 2023 إلى ألفية دخول العثمانيين الأناضول 2071. وفي نفس الوقت فإن التخطيط والعمل على حل المشاكل المحلية ومحاربة المشاكل الظاهرة ومحاربة الفقر ودعم المسنين والمعاقين وتطوير البنى التحتية هو من الأدوات التي ساهمت في إقناع الناخبين بالعدالة والتنمية.

- المـوروث السـياسي والاجتماعـي: اعتمـدت التجربـة عـلى مـوروث سـياسي واجتماعـي بنـي عـلى مـدى عصـور طويلـة منـذ العهـد العثـماني والـذي ورغـم الضعـف الـذي أصابـه بسـبب التغـيرات السياسـية التـي ضرب العـالم في القـرن الأخـير إلا أن بذرتهـا المختبئـة تحـت تـراب العاصفـة بقيـت تنتظـر الفرصـة لتعـود وتنبـت مـن جديـد.
- أن التجربـة اعتمـد عـلى الطاقـات المحليـة وتنميتهـا قـدر المسـتطاع بـل وجلـب مـا هاجـر مـن الطاقـات إلى خـارج تركيـا بـكل الإمكانيـات.
- نـشر الرفاهيـة ذات الجـودة العاليـة وصناعـة البدائـل للمجتمـع مـما أضعـف تيـارات الغـزو التغريـب الفكـري والثقـافي بـل واسـتعاد المجتمـع حالتـه الشرقيـة مـع الحفـاظ عـلى الحداثـة في أسـلوب المعيشـة ففتـح النـواد والمسـارح ودعمـت الدولـة الإنتـاج المسرحـي والسـينمائي المحافـظ فانتـشرت المنتجـات التـي تمثـل تركيـا المحافظـة بعـد أن كان يمثـل تركيـا في الإعـلام العالمـي المنتجـات التركيـة ذات الطابـع الغـربي الغريـب نسـبيا عـلى المجتمـع.
- أمـا الشـباب فكانـوا هـم عصـب الحـراك السـياسي للحـزب في كل المراحـل وكان تصعيـد الشـباب في العمـل الحـزبي ظاهـرة مميـزة سـبقت كل الأحـزاب السياسـية الأخـرى والتـي تحـاول دائمـا اللحـاق بالحـزب لكنهـا دائمـا تـأتي بعـده بخطـوات متأخـرة. ولتشـجيع ذلـك فـإن النظـام الداخـلي للحـزب يمنـع اسـتمرار الشـخص في منصـب رئـاسي عـلى صعيـد الدولـة أو المدينـة أو الحـي أو البرلمـان لأكـثر مـن ثـلاث دورت متتاليـة فيضطـر بعدهـا للاسـتقالة لـدورة واحـدة عـلى الأقـل وتـرك مكانـه للمتقدمـين مـن قواعـد الحـزب.
- عـدم الاسـتعجال في طـرح البديـل والانتظـار حتـى يشـتد سـوق المـشروع المحـلي والتخـلي عـن التحـدي في مواجهـة القـوى المسـيطرة مـا دام المـشروع المحـلي غـير قـادر عـلى المواجهـة في كل المجـالات.
- المرونـة السياسـية التـي تعطيـه القـدرة عـلى التراجـع عـن المواقـف التـي يـرى فيهـا نتائـج تشـكل خطـر عـلى مسـتقبل تركيـا أو حاضرهـا.

يمكن تلخيص نجاحات الحزب في عدة محاور وهي :

- التنميـة الاقتصاديـة: حيـث تسـلم الحـزب تركيـا مفلسـة ومسـتدينة مـن صنـدوق النقـد الـدولي، فنقلهـا سريعـاً – في سـنوات حكمـه فـترة قصـيرة في عمـر الـدول – إلى مصـاف الـدول سريعـة النمـو، محققـاً أرقامـاً يشـار لهـا بالبنـان، حيـث تضاعـف الناتـج القومـي ومعـدل دخـل الفـرد وتراجـع التضخـم ونسـبة البطالـة وسـدت تركيـا دينهـا لصنـدوق النقـد الـدولي قبـل أن تعـرض عليـه أن تقرضـه.
- الإصلاحـات الديمقراطيـة: بعـد فـترة وجيـزة مـن الإنجـازات الاقتصاديـة التـي لامسـت حيـاة المواطـن العاديـة فأمنـت للحـزب بعـض الشرعيـة والالتفـاف الشـعبي، بـدأ العدالـة والتنميـة بملامسـة القضايـا الشـائكة بشـكل متـدرج، فقـدم خـلال 16 عامـاً مـن الحكـم حلـولاً لعـدد مـن الأزمـات المزمنـة في البـلاد مثـل الحريـات الشـخصية وحقـوق الأقليـات ومشـكلة حظـر الحجـاب وصـولاً للمشـكلة الكرديـة التـي قطـع فيهـا شـوطاً مهـماً قبـل أن تنهـار عمليـة السـلام مـع العـمال الكردسـتاني ويسـتأنف الأخـير عملياتـه العسـكرية منـذ يوليو/تمـوز 2015.

- السياسة الخارجية: فقد أضحت تركيا مع العدالة والتنمية، في ظل الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصادية والرؤية الواضحة لقيادتها، دولة إقليمية فاعلة ومؤثرة بل ومقبولة من مختلف دول المنطقة إلى ما قبل الثورات العربية، بسيرها على هدى نظريات «الخوجا» أحمد داود أوغلو، العمق الاستراتيجي وتصفير المشاكل والقوة الناعمة، وإن كانت دخلت في حالة من التراجع والإخفاق منذ سنوات تحاول معها الاستدارة والتعويض.
- الصورة أو النموذج: رغم أن الولايات المتحدة هي من روجت لما أسمته «النموذج التركي» الجامع بين الديمقراطية والإسلام لحث دول العالم العربي والإسلامي على اقتفاء أثره، ورغم النقاشات العديدة التي سادت وتسود الفضاءات السياسية والفكرية العربية حول مفهوم الحداثة والدولة الحديثة والخصوصية الإسلامية، إلا أن الحزب قد قدم فعلاً تجربة ألهمت القوى السياسية العربية، سيما الإسلامية منها. لهذه التجربة ما لها وما عليها، لكنها على الأقل أعطت الأمل بالتغيير وإمكانية الفعل والتأثير، ولعله ليس من باب المبالغة ذكر تجربة العدالة والتنمية التركي من ضمن العوامل العديدة التي مهدت الطريق للثورات العربية، سيما وأن الكثير من الإسلاميين العرب، حركات وأفراداً، يعتبرون الحزب «حركة إسلامية» رغم تأكيد نظامه الداخلي وأدبياته وتصريحات قياداته بأنه حزب «ديمقراطي محافظ».
- تصاعد القوة الخشنة التركية في المنطقة .
- تطورت الصناعة العسكرية التركية بشكل كبير جدا في عهد العدالة والتنمية مما سهل عليه التحول تدريجيا نحو استخدام القوة الخشنة مع الدبلوماسية التي نجحت تركيا في استخدامها في الكثير من الملفات وقد برزت هذه النجاحات في العديد من الملفات :
- الصومال
- سوريا
- قطر

ولكن هذا الحزب الذي عاش يحكم تركيا منفردا ولأكثر من 16 سنة لم تخل طريقه من السقطات أو العثرات بل وأحيانا الأخطاء الاستراتيجية التي أثرت عليه سياسيا وأوشكت أن تودي بحكمه ومنها : لا يعني كل ما سبق أن صفحة الحزب ناصعة البياض خالية من السلبيات والتحديات، بل تبقى في نهاية المطاف تجربة بشرية عليها كما لها، لكن ربما ساهم في إظهارها وتلميعها الواقع التركي بالغ السوء الذي حسنته والمحيط العربي الموغل في التراجع الذي جاورته وعايشته. وفق المساحة التي تسمح بها عجالة المقال، يمكن تلمس السلبيات التالية في التجربة التركية حتى الآن:

- غياب المشروع الفكري: رغم بعض المتغيرات على مستوى الخطاب مؤخراً، ما زال الحزب بعيداً عن الأدلجة ولصيقاً أكثر بفكرة الحزب الجماهيري الخدماتي ومفتقداً لنواة صلبة كبيرة من الجماهير. وهو ما يعني أن الإنجاز – أو بالأحرى مدى إدراك الناخب للإنجاز، وذلك فارق مهم – هو معيار الاستمرار في الحكم، وقد كاد الحزب يدفع ثمن ذلك – رغم نجاحه – في انتخابات البرلمان 2015.
- ما زال الحزب يقاد بمركزية وتسيطر عليه شخصية الفرد في القيادة دون المؤسسة وهي ثقافة تركية عامة منذ العهد العثماني وعاشتها وتعيشها التيارات السياسية التركية بغض النظر عن

توجهاتها من الكمالية الأتاتوركية وحتى القومية ومرورا بالمحافظين والديمقراطيين الليبراليين ونتج عن هذا مركزية قوية داخل الحزب قد تكون مفيدة في هذه المرحلة عاتية الأمواج في السياسة التركية لكنها قد تنقلب لحالة سلبية وضارة على الحزب في مراحل ما بعد أردوغان.

- التحرك بعاطفية في بعض الملفات السياسية خاصة في الشرق الأوسط مما أكسبه تعاطف شعبي كبير لكنه اضطر الحزب أحيانا للتنكر لمواقفه أو تبني مواقف معاكسة لها ليتخلص من أعباء مواقفه تلك مما يثير الشك لدى أنصار الحزب ومحبيه في تلك المواقف ولكن هذه المعضلة يتم معالجتها بالثقة المطلقة لدى الحزب وقواعده بالقيادة وخاصة رجب طيب أردوغان شخصيا.
- الثقة الزائدة بجماعة جولن مما أعطاهم الفرصة للسيطرة على مفاصل بعض الوزرات الهامة سابقة الذكر وكانت الحجة أنهم يناصرون المشروع الديمقراطي وليس هناك تهديد منهم على أمن الدولة حتى أنهم أصبحوا وبكل سهولة هم من يسمح أو يمنع مرور أي مشروع أو قانون داخل الدولة وتبين هذا بعد انتهاء شهر العسل وبداية مرحلة الطلاق العنيف بين الحزب والجماعة في عام 2011 وحتى الانقلاب العسكري الفاشل في تموز 2016. ورغم كل ما يحدث إلا أن التنظيم ما زال له أنصار وله آثار تتكشف بين الحين والآخر وهذا الخطر سيبقى مهدد لتركيا خاصة في ظل تعويل بعض قوى الغرب على هذا التنظيم للجم العدالة والتنمية وقص أجنحته.

- البراغماتية المتطرفة : خاصة في السياسة الدولية حيث الإنقلابات السريعة التي تحدث في المواقف التركية تحول الأطراف من عدو لدود لحليف حميم وهذا وإن كان ضروريا لحماية المصالح الاستراتيجية التركية إلا أنه يؤثر على هوية البلاد وبوصلة سياستها الخارجية وصورتها في الخارج.

تركيا الملفات الحساسة

أولا: تركيا والملف السوري

بدأ الموقف التركي من سوريا متفاءلا بانتصار الثورة وسقوط الأسد خلال أشهر من اندلاعها لهذا كانت مواقفه عاطفية وحدية ولكن ومع تراجع قوة الثورة والتدخل الروسي السافر وبشكل ملفت للنظر عمل استدارة على الموقف وانتقل من حالة اسقاط النظام إلى رحيل الأسد وفي بعض الأحيان كانت تصدر تلميحات بقبول حتى بقاء الأسد مؤقتا لكن دون صلاحيات ولمدة انتقالية.

ومن الأسباب:

1. التدخل الروسي بكل قوة في الساحة السورية
2. تحول الأرض السورية لساحة حرب دولية بالوكالة بدأت شررها تصل الأراضي التركية.
3. تراجع القوى الثورية وتقسمها بين الولاءات المختلفة للدول والتيارات الفكرية.
4. دخول داعش على خط الثورة والتي كانت تشكل تهديد أمني كبير لتركيا
5. الدعم الأمريكي للميليشيات الكردية على الحدود التركية مما بدأ يشكل تهديد على الأمن القومي التركي
6. حجم الضغط الداخلي الناجم عن الأعداد الضخمة من اللاجين السوريين واستغلال الأمر من التيارات المعارضة في إثارة الشارع .
7. وصول تركيا لقناعة بوجود مخططات دولية لتقسيم سوريا وانشاء دويلة على حدودها مع تحريك ودعم الغرب للعصابات المسلحة في داخل تركيا لإعلان الاستقلال في بعض الأقاليم المتاخمة للحدود
8. لضعف الأمني الداخلي الناجم عن الانقلاب الفاشل وحاجة الدولة التركية للانطفاء قليلا نحو الداخل لتمكين النظام وتأمين البلاد.

وبناءا عليه فإن تركيا والتي ترى في الولايات المتحدة وحلفاءها طرفا يريد إطالة الصراع في سوريا وإرهاق الجميع بحرب أهلية ومواجهات عبثية تحولت من دولة تنظر من نظرة مبدئية للثورة السورية وتؤيدها بما تستطيع لتحقيق أهدافها إلى دولة تقرأ الأمور من زاوية مصلحة تركيا أولا وأصبحت تسعى لأنهاء المعركة في سوريا على طاولة المفاوضات ولكن في ظل أوراق قوة لديها تستطيع من خلالها تمرير مطالبها ومطالب حلفاءها من الثوار.

ثانيا: تركيا وأمريكا

منذ الحرب العالمية الثانية وبدأ المعركة بين القوتين العظميين في العالم وقفت تركيا بوضوح في مربع الناتو حيث حسمت تركيا خيار سياستها الخارجية بالانضمام عام 1952 لحلف شمال الأطلسي (الناتو) حمايةً لنفسها وأراضيها من أطماع الاتحاد السوفياتي السابق، وطوال فترة الحرب الباردة لم يطرأ أي تغير جوهري على توصيف العلاقة بين أنقرة وواشنطن. وبقيت تركيا حتى نهاية الحرب الباردة بمثابة قاعدة متقدمة لحلف الناتو ورغم بعض الخلافات التي عاشتها تركيا مع أمريكا رأس حلف الناتو في بعض الملفات كلمف قبرص والسماح للقوات الأمريكية بالدخول للعراق.

تميزت هذه العلاقة بأنها علاقة تبعية لا علاقة شراكة رغم أن الدولتين في التسعينيات وقبل الانقلاب على الحكومة المنتخبة بقيادة حزب الرفاه عام 1997 بعامين فقد أعلنت الشراكة الاستراتيجية بين البلدين مع وجود شريك استراتيجي ثالث وهو دولة الاحتلال الصهيوني. وكانت الشراكة عسكرية اقتصادية ثقافية وأمنية.

أسباب الخلاف :

• عـدم تتفهـم الولايـات المتحـدة محاولـة تركيـا في عهـد العدالـة والتنميـة مـن رسـم سياسـتها الخارجيـة المسـتقلة وفي نفـس الوقـت لا تتعامـل معهـا كحليـف بـل ترغـب في بقائهـا تابـع دون مراعـاة مصالحهـا.

• الدعـم الأمريـكي المتواصـل للفصائـل الكرديـة المسـلحة في سـوريا، في تجاهـل تـام للتحفظـات التركيـة.

• سـليم فتـح اللـه كولـن زعيـم "التنظيـم الموازي" المقيم في بنسـلفانيا منـذ 1999 والـذي تتهمه أنقـرة بأنـه العقـل المدبـر للمحاولـة الانقلابيـة الفاشـلة صيـف 2016. ورغـم العلاقـة الوثيقـة المفترضـة بـين البلديـن ورغـم اتفاقيـة "تبـادل المجرمـين"

رغـم أن التغـير الأخـير في الإدارة الأمريكيـة وتعيـين بومبيـو المعـروف بمواقفـه المعاديـة للسياسـة التركيـة بـدلا لتاليرسـون الـذي كان يعتـبر أكـثر تـوازن وتعقـل مقارنـة بترامـب إلا أنـه ليـس مـن الـوارد أن تنتكـس العلاقـات بـين البلديـن أكـثر مـما هـي عليـه الآن خاصـة وأنهـا تقـوم أسـس دبلوماسـية وسياسـية واقتصاديـة وأمنيـة معقـدة تبنـي عـلى عـشرات السـنين مـن التعـاون والمؤسسـات والمواقـف والقـرارات والمصالـح، مـا يجعـل النكـوص عنهـا باهـظ الثمـن للطرفـين. وليـس هنـاك مـا يشـير إلى أن الولايـات المتحدة في صـدد الانقـلاب تمامـاً عـلى شريكتهـا الاسـتراتيجية، ورغـم أنهـا غـير راضيـة عـن بعـض سياسـاتها الخارجيـة وتعمـل ضـد مصالحهـا في سـوريا مثـلاً، إلا أن ذلـك لا يتـم عـلى أسـاس المواجهـة المبـاشرة وإنمـا مـا زالـت واشـنطن حريصـة عـلى عـدم وصـول العلاقـات لحالـة القطيعـة.

ولكـن هنـاك ملفـات سـتبقى عالقـة وتحـرك ميـاه الخـلاف بـين البلديـن كلـما هـدأت وفي محاولـة مـن أمريـكا لـلي ذراع تركيـا كلـما احتـدم الخـلاف بـين البلديـن في القضايـا التـي تجـاوزت العلاقـات الدبلوماسـية كـما في سـوريا والعـراق واتفاقيـات التسـلح التركيـة مـع روسـيا ومنهـا :

1. ملـف فتـح اللـه جولـن وتسـليمه رغـم كل المحـاولات التركيـة لاسـتعادته وتقديـم الوثائـق والملفـات المدللـة عـلى تورطـه في الانقـلاب ورغـم وجـود اتفاقيـة تبـادل المجرمـين الموقعـة بـين البلديـن.
2. 2ملـف رضـا ضراب والـذي تحـول مـن متهـم رئيـس إلى شـاهد ضـد مـن عاونـوه (يبـدو أنهـا صفقـة لحمايتـه مـن الإعـدام في إيـران) والـذي يعتـبر ملفـا عقابيـا لتركيـا حاولـت الولايـات المتحـدة مـن خلالـه ضرب مصداقيـة الاقتصـاد الـتركي وعـلى رأسـه قطـاع البنـوك ورغـم أن العديـد مـن البنـوك العالميـة قامـت بمـا قـام بـه البنـك الأهـلي الـتركي إلا أن التعاطـي مـع البنـك الـتركي تجـاوز العقوبـات الماليـة كـما مـع البنـوك الأخـرى إلى تحويـل القضيـة لجريمـة دوليـة ودعـم إرهـاب (عـلى الصعيـد الإعلامـي)

أمـا عـلى صعيـد الملـف السـوري فواضـح أن أمريـكا تحـاول أن تقـاوم حصـول تركيـا عـلى أي مكتسـبات في السـاحة السـورية لكـن دون الوصـول لحالـة المواجهـة أو القطيعـة المطلقـة لكـن تركيـا في نفـس الوقـت تعـرف حدودهـا في التقـدم فتحـاول رفـع سـقف الخطـوط الحمـراء الأمريكيـة قـدر المسـتطاع لكـن دون اختراقهـا بعنـف لأنهـا تعلـم أن الأمريـكان لـن يسـمحوا لهـم ولا لغيرهـم بتجـاوزه (قصـف القـوات الروسـية) ولكـن الأتـراك أيضـا يحاولـون أن يضعـوا بعـض الخطـوط الحمـراء للأمريـكان كي يحصلـوا الحـد الأدنى منهـا.

ثالثا: تركيا وروسيا:

لا يمكن وصف العلاقات التركية الروسية بالتحالف لأنها لا تحمل أقل معاني الحلف والشراكة الاستراتيجية بل يمكن توصيفها بحالة التقاء مصالح قصيرة المدى لكنها هامة وخطيرة بين الطرفين ومنها:

1. الضغط الأمريكي والأوربي على تركيا ومحاولة وضعها في عزلة.
2. الاستعاضة بالسلاح الروسي الذي ترفض حتى اللحظة دول الناتو تأمينه لتركيا مثل أنظمة الدفاع الجوي.
3. ضمان الدعم الروسي أو الحياد على الأقل في ملف كنتون الميليشيات الكردية في شمال سوريا مما سيصد التغول الأمريكي في الأمر.
4. العلاقات الاقتصادية بين الطرفين في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية تشكل رافعة هامة للعلاقة بين الطرفين لا سيما إذا ما علمنا أن الرد الروسي على اسقاط طائرته من قبل تركيا كان اقتصاديا والرد التركي كذلك.
5. رغبة روسيا في احتواء ثاني اكبر جيش في حلف الناتو والجدار الفاصل بين الشرق والغرب لجانبها.
6. محاولة احتواء الدور التركي في سوريا مما سيريح الروس.
7. محاولة تركية لإيصال رسالة للاتحاد الأوروبي وأمريكا أنها ليست محكومة لرغباتهم ومصالحهم فقط وأنها ستبحث عن مصالحها أولا وقبل كل شيء.
8. لكن مهما قيل في هذا التقارب فإنه تقارب مصلحي بامتياز ولا يحمل أي ملامح تحالف أو محاور حتى اللحظة والتنافس بين الطرفين في العديد من الملفات ما زال قائما.

Heyecana gerek yok, düşmanımın düşmanı dostumdur mantığına dayanan bu yakınlaşma” “uzun sürmez

رابعا: تركيا وإيران

العلاقات التركية الإيرانية متوترة ليس في العهد الحديث فقط بل تاريخيا منذ قضاء السلطان سليم الأول على الدولة الصفوية في إيران وأطراف الأناضول وكذلك العلوية في الأناضول. والملفات التنافسية بين الطرفين كبيرة وكبيرة جدا فهما دولتان إقليميتان تحاولان التنافس على الكثير من الملفات من النفوذ في العراق وسوريا والبلقان وحتى بعض دول أفريقيا وكذلك التنافس على السيطرة على خطوط نقل الطاقة في المنطقة.

لكن مع حجم الخلافات الكبير إلا أن المصالح الاقتصادية للدولتين والخوف من حجم الخسائر التي ستنجم عن المواجهة المباشرة بين الدولتين - التان تعلمان أن أي صراع بينهما سيكون خسارة لهما ومكسب لأعداءهما- يمنعان هذه المواجهة.

وفي ظل هذه الحالة المتناقضة ترسم العلاقة بين البلدين من حيث الزيارات والاتفاقيات الاقتصادية والأمنية والعسكرية من ناحية وضرب الحلفاء لكلا الطرفين على الأرض السورية من ناحية. ومن ناحية أخرى تتوافق بل تتعاون الدولتين عمليا في مواجهة الكنتونات الكردية في المنطقة لما فيه من الخطر على أمن ووحدة أراضيهما.

خامسا: تركيا والاتحاد الأوروبي

- واجهت تركيا مجموعة من العقبات، منذ بدء مفاوضات عضويتها مع الاتحاد الأوروبي في عام 2005، مما أدى إلى وصول المحادثات إلى طريق مسدود. ونتيجة لذلك، تباطأت الإصلاحات الداخلية، وأيقن الأتراك بشكل متزايد أنه لا أمل في انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، حيث لم تعد هناك ثقة بين الشريكين. وعلاوة على ذلك، فان كل هذه التطورات وقعت في الوقت الذي أصبحت فيه تركيا أكثر ثقة بنفسها وأصبح الاتحاد الأوروبي يعاني من مشاكل اقتصادية وسياسية.

- ومع تفاقم أزمة اللاجئين التي عصفت بأوروبا وأحدثت خلافات في بعض الدول وكذلك بين دول الاتحاد نفسها عاد نجم تركيا ليلمع من جديد ورغم اعتراض كل من ألمانيا وفرنسا وقبرص اليونانية واليونان في البداية إلا أنهم وتحت ضغط الأمن والاستقرار تعهدوا لتركيا بفتح ملفات الانضمام من جديد وتحسين العلاقة وكذلك العمل على رفع الفيزا وهذا ما لم يحدث حتى الآن بل ازدادت العالقات توترا وسوءا ومن الأسباب:

- تأييد الاتحاد الأوروبي لأعمال العنف التي تقوم بها الPKK عبر مهاجة الإجراءات التركية وكذلك إيواء الإرهابيين المطلوبين تركيا
- عدم إيفاء الاتحاد الأوروبي بتعهداته المالية لمساعدة تركيا في تحسن وضع اللاجئيين السوريين ورفض استقبال اللاجئين السوريين بالأعداد المتفق عليها
- ضعف الموقف الأوربي من الانقلاب الفاشل بين الرافض بعد أيام وبين الصامت بل والمشكك في حدوثه ولحقه غيواء بعض دول الاتحاد للمتهمين الرئيسيين حتى العسكريين منهم مثل ألمانيا, النمسا واليونان
- سحب الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي العضو في الناتو كهولاندا وألمانيا لمضادات الصواريخ من نوع باتريوت في أشد اللحظات احتياجا لها من قبل تركيا
- الصعود الكبير لليمين الأوروبي المتطرف المعروف عنه العداء لتركيا وما حدث خلال الدعاية الانتخابية للاستفتاء الدستوري عام 2017 دليل واضح.
- اعتراض الاتحاد الأوروبي على قانون الطوارئ ورفضه اعتقال نواب حزب الشعوب الديمقراطي التهمين بالترويج ودعم الإرهاب.

تركيا والاتحاد الأوروبي إلى أين :

رغم كل العواصف التي تضرب هذه العلاقات والتي استمرت منذ عشرات السنين إلا أنها وكما لن تتحول لحالة شراكة استراتيجية ووحدة كما هو بين دول الاتحاد الأوروبي لعدة أسباب أهمها ديني واقتصادي إلا أنه وفي ظل الحاجة المتبادلة للطرفين كل للآخر فلا يعتقد أن هذه العلاقات قد تصل حد القطيعة لأسباب عدة منها :

- تركيا هي الجدار الفاصل بين الاتحاد الأوروبي وكل التهديدات القادمة من الشرق الأوسط
- تركيا هي الممر الرئيسي للطاقة القادمة من روسيا والمنطقة نحو الاتحاد الأوروبي
- في نفس الوقت فإن الاتحاد الأوروبي يشكل أهم سوق تجاري لتركيا لا تستطيع لأي سبب كان أن تتخلى عنه.
- بالإضافة لهذه وتلك ما زال الشارع التركي ورغم تراجع تأييده للاتحاد الأوروبي إلا أنه يرى في مباديء الاتحاد الأوروبي فرصة لتطوره السياسي والاجتماعي والتشريعي.

سادسا : تركيا والخليج العربي

الإرث التاريخي في العلاقات العربية مع تركيا حتى بدايات حكم العدالة والتنمية بقيت ضعيفة بل ومتعارضة في كثير من الملفات وإن كانت قد شهدت بعض التحسن في عهد أوزال ومن أسباب ذلك:

1. الموروث التاريخي السيء بين الطرفين (مصطلحات : الاحتلال العثماني – الخيانة العربية)
2. ابتعاد تركيا العلمانية المتطرفة بقصد عن العرب والشرق الأوسط بشكل عام.
3. سيطرت الاشتراكية القومية العربية على الدول المحورية في العالم العربي.
4. النزاع بين تركيا وجيرانها العرب على الحدود وتقاسم الثروات.
5.

لكن مع النهضة الاقتصادية بقيادة العدالة والتنمية الذي يريد لمشروعه الاعتماد أكثر على القوى المحلية والإقليمية منه على القوى العالمية حاول تصحيح مسار علاقاته مع كل دول المنطقة وسر العديد من الحواجز تحت شعار تصفير المشاكل مع الجيران ونتج عن ذلك :

- تشكلت العديد من مجالس العليا للعلاقات على مستوى الوزراء ورؤساء الوزراء وعقدت مجالس وزراء مشتركة بين تركيا العديد من الدول العربية
- ارتفعت أرقام التبادل التجاري بين تركيا والدول العربية وعلى رأسها دول الخليج لأضعاف ما كانت عليه قبل العدالة والتنمية.
- سمح لتركيا بالدخول على بعض الملفات وأصبحت من الدول المرحب فيها على صعيد الجامعة العربية والتجمعات العربية السياسية المختلفة.

هذه العلاقة الحميمية تأثرت وبشكل سلبي مع انطلاق الربيع العربي حيث وقفت تركيا مع الثورات والشعوب على عكس الأنظمة العربية وكان محور الإمارات – السعودية في دول الخليج على النقيض من تركيا بل وصلت الأمور حد التوتر والمواجهة السياسية المعلنة بين الإمارات وتركيا.

لكن تركيا كانت وما زالت تحاول الحفاظ على شعرة معاوية مع الخليج لأنها تسعى لتقليل حجم التهديدات والمواجهات المفتوحة في ظل الأزمات التي تعصف بعلاقتها بالغرب بشقيه الأمريكي والأوروبي وكذلك رغبتها في استمرار تدفق المال الخليجي إلى تركيا والذي شكل رافعة اقتصادية هامة في السنوات الثلاث الأخيرة للاقتصاد التركي الذي يواجه أزمة.

وفي الأزمة الخليجية عاشت تركيا وضع صعب حيث كانت وما زالت تسعى للوقوف مع حليفها في الخليج قطر لكن لا تريد أن تخسر رأس الخليج السعودية لذلك رأينا التحرك التركي لمحاولة رأب الصدع وكذلك تكثيف الزيارات الرسمية للسعودية والخليج كنوع من توثيق العلاقة.

العلاقة التركية الخليجية إلى أين :

رغم الخلافات الجذرية في العلاقة بسبب الموروث التاريخي السيء والاختلاف في وجهات النظر حول مباديء الحكم والمواطنة وكذلك اعتبار السعودية تركيا نموذجا يشكل تهديد لتمثيلها للعالم الإسلامي إلا أن الطرفين يعلمون أن قطع العلاقة فيه خسارة فادحة للطرفين وإضعاف لموقفهما لصالح المنافس الأهم في المنطقة إيران.

المؤسسة العربية
للدراسات الاستراتيجية
ARAP STRATEJIK
ARAŞTIRMA MERKEZI

Bahçelievler / İstanbul - Turkey
www.asamcenter.com - info@asamcenter.com